قبس من سيرة المصطفى ﷺ

في ضوء القرآن والسنة

دراسة منهجية بين أهمية السيرة النبوية في فهم الإسلام

تأليف

دكتور عمر يوسف حمزة

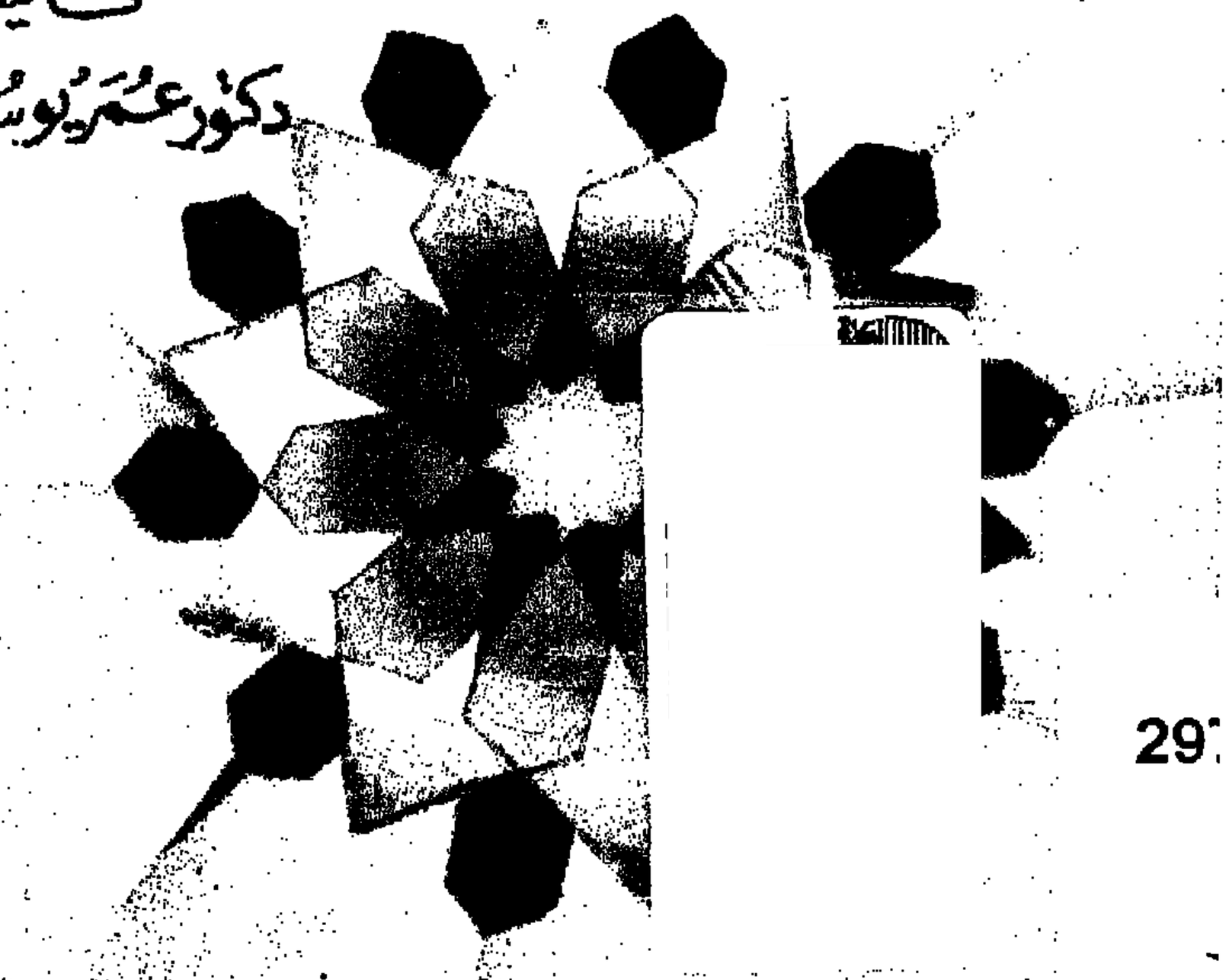

الدار المصرية اللبنانية

قبس من سيرة المصطفى ﷺ

في ضوء القرآن والسنة

دراسة منهجية بين أهمية السيرة النبوية في فهم الإسلام

الناشـــر : الـــدار المصريـــة اللبنانيـــة
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع : ٨٨٧٧ / ٩٤
الترقيم الدولى : 7 - 167 - 270 - 977
جمـــع : آر ـ تك
العنوان : ٤ ش بنى كعب متفرع من الـسودان الكيت كات
تليفون : ٣٤٦٣٦٣٢
طبـع : المطبعة الفنية
العنوان : ٢٢ شارع الشقفاتية ـ متفرع من الساحة ـ عابدين
تليفون : ٣٩١١٨٦٢
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى : ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م
تصميم الغلاف : وائل حمدان

قبس من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم

في ضوء القرآن والسنة

دراسة منهجية تبين أهمية السيرة النبوية في فهم الإسلام

تأليف

دكتور عمر يوسف حمزة

الأستاذ المساعد بقسم التفسير والحديث

كلية الشريعة - جامعة قطر

الناشر

الدار المصرية اللبنانية

«بسم الله الرحمن الرحيم»

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونتوب إليه؛ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فلقد منَّ الله تعالى علىَّ بأن أكتب فى هذا الموضوع الهام وهو «السيرة النبوية وأهميتها فى فهم الإسلام»

تمهيد

فالسيرة النبوية: دعوة بالحسنى إلى الرقى الأخلاقى الذى تجرى وراءه الإنسانية المهذبة، إنها دعوة إلى التاجر أن يكون صادقا، فيحشر مع النبيين والصديقين والشهداء، وإلى العامل أن يتقن عمله؛ لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه.

وإلى الصانع أن يؤدى العمل كما يجب، حيث أخذ الأجر، ومن أخذ الأجر حاسبه الله على العمل.

وهى دعوة إلى الأب باعتباره أبا، وإلى الأم فى وضعها كأم، وإلى الأخ فى مهمته كأخ،[1]

وهى دعوة إلى كل فرد من أفراد المجتمع: أن يرعى كل منهم ما وكل إليه من أمر رعيته: يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**وكلكم راع ومسئول عن رعيته**» الحديث[2].

(١) السنة النبوية ومكانتها فى التشريع. د/عبد الحليم محمود ص ٦ بتصرف

(٢) البخارى ١/٣١٧ و ١٣/ ١٠٠ ومسلم (٩/١٨) وأخرجه أبو داود (٢/٢٩)

والسيرة النبوية دعوة للناس إلى الأمانة، حيث إنه لا إيمان لمن لا أمانة له، فلقد اجتمعت لرسول الله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ سائر الكمالات والفضائل النفسية التى اعتبرها الفلاسفة، والحكماء أصول الفضائل كلها من الصدق والشجاعة والعدل والعفة والأمانة ما لم يجتمع لغيره، فكان مستودع أمانات المشركين ونفائسهم وإن خالفوا دينه، وخالف هو شركهم وجاهليتهم؛ فلا يجدون آمن منه على ودائعهم وأموالهم وهو بمكة، وقد كان أحق بها وأهلها إذ استبْقى عليا عند هجرته ليرد الأمانات إلى أهلها المشركين(١).

والسيرة دعوة إلى الرحمة العامة الشاملة التى بعث بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث يقول الخالق جل علاه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢).

قال ابن عباس: هذا عام للبر والفاجر،ومن كفر به صرفت عنه العقوبة إلى الموت والقيامة(٣).

وذكر ابن كثير من رواية الطبرانى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال: من تبعه كان له رحمة فى الدنيا والآخرة، ومن لم يتبعه عوفى مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف(٤)

(١) مجلة مركز بحوث السنة العدد الثامن ص ٢٧٧ بتصرف.
(٢) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.
(٣)زاد المسير لابن الجوزى ج ٥ ص ٣٩٨ والآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.
(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٢.

وروى مسلم فى صحيحه [1] عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قيل يا رسول الله: ادع على المشركين، قال: «**إنى لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة**».

وروى الدّارمى: عن أبى صالح مرسلا قال: كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يناديهم يقول: «**يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة**»[2] وقد وصله الحاكم فى المستدرك [3] عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ وصححه، ووافقه الذهبى.

وخذ أى خلق كريم تتمنى أن يسير عليه المجتمع: فستجد فى السيرة دعوة إليه بوسيلة أو بأخرى أو بثالثة.

وهى فى هذه الدعوة تنبه دائما إلى دور الأمة الإسلامية فى الأخلاق العالمية: إن دورها إنما هو دور الرائدة الراعية، وعلى الرائد دائما أن يكون المثل الأعلى، والأسوة الكريمة والقدوة الصالحة، ولقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصورة الحية الناطقة التى طبقت ـ كمبادئ إنسانية ممكنة ـ الخلق الذى رسمه الله وأحبه للإنسانية جمعاء، والذى عبرت عنه السيرة أجمل تعبير وأبلغه.

وسوف أتناول فى هذا البحث السيرة النبوية وأهميتها فى فهم الإسلام من خلال النقاط التالية:

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٠٧.
(٢) سنن الدارمى ج ١ ص ٩.
(٣) مستدرك الحاكم على الصحيحين ج ١ ص ٣٥.

أولا: تعريف السيرة لغة واصطلاحا.

ثانيا: فهم شخصية الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ (النبوية) من خلال حياته وظروفه التى عاش فيها؛ للتأكد من أن رسول الله الكريم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يكن مجرد عبقرى سمت به عبقريته بين قومه، ولكنه ـ قبل ذلك ـ رسول من عند الله ـ تعالى ـ أيده الله بالمعجزات الباهرات.

ثالثا: أن يجد الإنسان بين يديه صورة المثل الأعلى فى كل شأن من شئون الحياة الفاضلة؛ كى يجعل منها دستورا يتمسك به ويسير عليه؛ ولذا جعله الله ـ تعالى ـ قدوة للإنسانية كلها إذ قال فى محكم كتابه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (١).

رابعا: أن يجد الإنسان فى دراسة سيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يعينه على فهم كتاب الله ـ تعالى ـ وتذوق روحه ومقاصده، إذ أن كثيرا من آيات القرآن الكريم إنما تفسرها وتبينها الأحداث التى مرت برسول الله الكريم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وموقفه منها.

خامسا: أن يتجمع لدى المسلم من خلال دراسته لسيرة رسول الله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكبر قدر من

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة، سواء ما كان منها متعلقا بالعقيدة والأحكام والأخلاق، إذ لا ريب أن حياته ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إنما هى صورة مجسدة نيرة لمجموع مبادئ الإسلام وأحكامه.

سادسا: أن يكون لدى المعلم والداعية الإسلامى نموذج حى عن طرائق التربية والتعليم؛ فلقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ معلما ناصحا، ومربيا فاضلا، لم يأل جهدا فى تلمس أجدى الطرق الصالحة إلى كل من التربية والتعليم خلال مختلف مراحل الدعوة الإسلامية.(١)

وإن من أهم ما يجعل سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وافية بتحقيق هذه الأهداف كلها أن حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ شاملة لكل النواحى الإنسانية والاجتماعية التى توجد فى الإنسان كفرد مستقل بذاته، أو من حيث إنه عضو فعال فى المجتمع.(٢)

فالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خلال سيرته الطاهرة يتحدث عن إصلاح المجتمع، وعن عوامل الهدم التى تعمل على تقويضه، وعن عوامل البناء التى تعمل على إقامته على قواعد سليمة.

ومن أجل ذلك كله كان نشر السيرة النبوية واجبا دينيا، وعملا اجتماعيا كريما وواجبا وطنيا، وإصلاحا أخلاقيا ساميا.

(١) فقه السيرة. د/ محمد سعيد رمضان البوطى ص ١٤، ١٥، بتصرف.
(٢) فقه السيرة ص ١٥ بتصرف د/ محمد سعيد رمضان.

فإن الفهم الصحيح لسيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضرورة ملحة فى عصر تحاول الرذيلة فيه أن تعمم الانحلال الخلقى فى كل أسرة وفى كل بيت، ويحاول الفساد أن يأتى على مقدسات الأمة ومقوماتها من عرض وشرف وكرامة.

لقد أحب الله ـ تعالى ـ للإنسانية مثالا أخلاقيا كريما رسمه ـ سبحانه ـ فى القرآن الكريم قولا ، فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصورة التطبيقية الكاملة للرسم الإلهى. وكان بذلك الإنسان الكامل، ولقد وصفه ـ تعالى ـ فى كتابه الكريم فقال ـ جل وعلا ـ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(١)

وما من شك فى أن الأمة الإسلامية حينما تقتدى بالرسول الكريم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إنما تقتدى بأعظم رجولة وإنسانية، وتقتدى بمن أحب الله ـ سبحانه ـ أن تقتدى به ؛ يقول فى محكم كتابه الكريم:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢)

إن العمل على نشر السيرة إنما هو توجيه للاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم.

والله أرجو أن ينفع بهذا البحث ويجعله عاما، وأن يهدى به وآن يجعله ذخيرة لى فى يومٍ يقوم الناس فيه لرب العالمين.

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

المبحث الأول

* تعريف السيرة لغة واصطلاحا:

السيرة لغة: الطريقة، وسار فى الناس سيرة حسنة أو قبيحة، والجمع سِيَر، مثل سدرة وسدر، وغلب اسم السير فى ألسنة الفقهاء علَى المغازى.(١)

فيتضح لنا من ذلك أن السيرة هى الطريقة، حسنة كانت أو سيئة.

قال خالد بن عتبة الهذلى:

فلا تجزعن من سيرة أنت سِرْتَهَا .. فأول راض سنةً من يسيرها(٢)

وفي الكتاب العزيز: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(٣)

---

(١) المصباح المنير: أحمد بن محمد الفيومى ص ١١٤، ومختار الصحاح ص ٣٣٩.
(٢) لسان العرب لابن منظور ج ٢ ص ١٧٠ والقاموس المحيط: مادة (سير).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧

وفي التنزيل العزيز أيضا يقول ـ جل علاه ـ :﴿سَنُعِيدُهَاسِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ (١)

قال الفراء: طريقتها. نردها عصاً كما كانت. (٢)

وأما السيرة فى الاصطلاح:

إذا كانت السنة النبوية فى اصطلاح المحدثين: ما أثر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء أكان قبل البعثة أم بعدها. (٣)

وهى مرادفة للحديث عند الأكثر(٤)

فإذا كان هذا هو تعريف ألسنة فى مصطلح المحدثين، فإن سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ هى السنة.

لكن علماء السير نحوا بها الناحية التاريخية فبعدت عن السنة والحديث من حيث الوثوق بمحتوياتها. فهم يتساهلون فى سردها تساهلهم فى التاريخ. حتى الذين عنوا منهم بذكر الأسانيد لم يعنوا بالصحيح منها. بل جمعوا صحيح الروايات مع ضعيفها، وصرحوا بمنهجهم هذا حين قالوا: إذا روينا عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحرام والحلال والأحكام شددنا فى الأسانيد وانتقدنا فى الرجال.

---

(١) سورة طه، الآية: ٢١.

(٢) زاد المسير ج٥ ص ٢٨٠ ولسان العرب مادة (سير).

(٣) السنة ومكانتها: ص ٥٩، مصطفى السباعى، وتوجيه النظر/٣

(٤) دراسات فى الحديث ج ١ ص ١ د/ الأعظمى. ولمحات فى أصول الحديث ص ٣١.

وإذا روينا فى الفضائل والثواب والعقاب والسير تساهلنا وتسامحنا

ويمكننا أن نتساءل: ما الذى حملهم على هذا؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول: لعلهم قصدوا أن العقائد والفروع شريعة تعتمد عليها العبادة والطاعة، وأما السيرة النبوية فهدفها العظة والعبرة، وما جاء فى السيرة يؤخذ على أنه ترغيب أو ترهيب، أو تكريم وتبجيل، أو تصوير وتحسين.(١)

خلاصة القول:ـ

أن السيرة معناها فى اللغة الطريقة سواء كانت سيئة أو حسنة، وقد استعملها الإسلام فى معناها اللغوى، ثم خصصها بطريقة النبى ـ صلى الله عليه وسلم.

ومن ناحية أخرى: فإن الكلمة حينما تطلق يراد بها سيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والسيرة النبوية: هى ما أضيف إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلْقية أو خُلُقِيَّة،سواء أكان قبل البعثة أم بعدها،وهى بهذا مرَادف للسنة.

ولكن العلماء تساهلوا فى روايتها، وتشددوا فى رواية السنة.

---

(١) دراسات فى السيرة وعلوم السنة. د/ موسى شاهين و د/ صلاح شلبى ص ٥.

المبحث الثانى

* فهم شخصية الرسول ﷺ (النبوية)

وأريد فى بداية هذا المبحث أن أمهد له بكلمة تتعلق بطبيعة الرسالة المحمدية، وهى: العموم، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[1] وما كانت هذه الرسالة العامة لأحد من الرسل قبله، فموسى ـ عليه السلام ـ أرسل لبنى إسرائيل خاصة، لقد اقتصرت دعوته على بنى إسرائيل، وقد ذهب موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ إلى فرعون ليرسل معهما بنى إسرائيل فقالا له: ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾[2]

وعيسى ـ عليه السلام ـ إنما أرسل إلى بنى إسرائيل، ولم يحاول سيدنا عيسى أن يبشر بدعوته خارج فلسطين، ولم يحاول أن يجاهد من أجلها.

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٧ وانظر: قصص القرآن لمحمد أحمد عادل وآخرين ص ١٣٧ فما بعدها.

أما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه أرسل إلى الناس جميعا، إنه أرسل إلى الناس جميعا من حيث المكان، وأرسل إليهم من حيث الزمان، فهو الرسول الدائم زمانا ومكانا (١)

يقول ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(٢)

إن هذا التمهيد الموجز لا بد منه لمعرفة شخصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «النبوية» من خلال حياته وظروفه التى عاش فيها، للتأكد من أن محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يكن مجرد عبقرى سمت به عبقريته بين قومه، ولكنه قبل ذلك رسول أيده الله ـ تعالى ـ بوحى من عنده وبتوفيق من لدنه.

إن حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واضحة بينة منذ أن خرج إلى الوجود، وحتى قبل ميلاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشرت به الكتب السماوية: التوراة والإنجيل، فقد حكى لنا القرآن الكريم ما جاء على لسان نبى الله عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾(٣)

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى، الإمام الأكبر د/ عبد الحليم محمود ص ١٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٣) سورة الصف، الآية: ٦.